**المهدي المنتظر ... للشيخ حسين بن محمود**

# الحمد لله وحده .. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. أما بعد

إن المطالع لأحاديث أشراط الساعة ينبعث في روحة الأمل بمستقبل هذه الأمة العظيمة ، ويفارقه اليأس الذي ولّدته الأحداث في صدور كثير من المسلمين ، فقد جاء في الحديث " تكونُ النُّبُوَّةُ فيكُم ما شاءَ اللهُّ أنْ تَكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها اللهُّ إذا شاء أنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تكونُ خِلافَةً على مِنهاجِ النُّبوَّةِ، فَتَكونُ ما شاءَ اللهُّ أنْ يكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها اللهُّ إذا شاء أنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تَكونُ مُلْكاً عاضّاً، فَتَكونُ ما شاءَ اللهُّ أنْ تَكونُ، ثُمَّ تكونُ مُلْكاً جَبْرِيّاً، فَتَكونُ ما شاءَ اللهُّ أن تَكونَ، ثُمَّ يَرْفَعُها إذا شاءَ أنْ يَرْفَعَها، ثُمَّ تَكونُ خِلافَةً على مِنهاجِ النُّبوَّةِ«، ثُمَّ سَكَتَ. (أحمد \وهو في الصحيحة)

فالخلافة قد انقضت ، والملك العاض انتهى بزوال الخلافة ، ونحن اليوم في فترة الملك الجبري – نسأل الله أن يعجل من رفعه – ، وبعدها خلافة على منهاج النبوة يحكم خلالها رجل صالح من بيت رسول الله – من ولد فاطمة رضي الله عنها – يدعى "محمد بن عبد الله" ، يولد من أب وأم في آخر الزمان ، أجلى الجبهة (أي واسع الجبهة) أقنى الأنف (أي طويل الأنف مع دقة أرنبته وحدبة في وسطه) ، يلوذ بالحرم المكي في غير منعةٍ ولا عددٍ ولا عُدّة تُذكر ، فيرسل طاغوتاً من طواغيت الأرض خلفه جيشاً يخسف الله بالجيش قبل وصوله مكة ، فيُبايَع المهدي خليفة للمسلمين ، وتبدأ الفتوحات الإسلامية بيَد الثلة المؤمنة من أتباعه وبقيادته ، فتُفتح أكثر بلاد الأرض ، ويسود القسط والعدل ، يُحثي المال حثاً لا يعدّه ، ويأمن الناس في عهده (سبعة سنين أو ثمان أو تسع) ، فيخرج في زمنه الدجال الذي يقتله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ..

لسنا هنا بصدد تحديد سنة ظهور المهدي أو تحرير سيرته ، ولكن الذي شد انتباهي من أحادث المهدي هو الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده (في مسند علي رضي الله عنه) والترمذي في سننه (كتاب الفتن) ، حيث رويا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " المهديُّ منّا أهل البيت يُصْلِحُه اللهُ في ليلة" (صحيح \ انظر الجامع الصحيح 6735) ..

هذا الحديث الجليل يحمل بين طياته عبرة عظيمة لمن تدبره ، فهو يخبرنا بأن المهدي لن يكون إنساناً متميزاً ، بل يكون من عوام الناس ، يمُنّ الله – سبحانه وتعالى – عليه بالإصلاح ويُهيّؤه لقيادة أمة محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله " أي يتوب عليه ويوفقه ويلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك " (النهاية في الفتن والملاحم).

إن المتتبع لسيرة الأنبياء عليهم السلام يرى أن الله سبحانه وتعالى يهيئ هؤلاء الرجال تهيئة ذهنية عقلية ويذكي فيهم الصفات القيادية والقوة الروحية قبل بعثتهم ، وهذا ما أخبرنا به سبحانه وتعالى في شأن نبينا صلى الله عليه وسلم ، حيث قال " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى " (الضحى : 6-7) ، وقوله تعالى " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " (الشرح : 1) ، وقوله تعالى لموسى عليه السلام " وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي " (طه : 39) ..

ولكن المهدي ليس نبياً أو رسولاً ، وإنما هو رجل من بيت النبوة يُعدّه الله سبحانه وتعالى لقيادة لبشرية .. والملفت للنظر هنا أنه لا تظهر فيه علامات الصلاح إلّا فجأة – كما هو ظاهر الحديث – ، فهو كأكثر الناس يعيش حياة هامشية (إن صح التعبير) غير مكترث بتغيير واقع الأمة وما يجري فيها من أحداث .. ولو كان المهدي موجوداً في وقتنا هذا لربما كان طبيباً أو مهندساً أو طالباً أو تاجراً انشغل بتجارته أو مهنته أو تحصيله العلمي عن واقع الأمة الأليم ، لا يعرفه أحد من المسلمين ، ولا يتوقع من يعرفه أن يصبح هذا الرجل في يوم من الأيام قائداً للأمة يصلّي خلفه نبي الله عيسى عليه السلام !!

عندما ينظر الإنسان إلى واقع الأمة اليوم ، وينظر إلى القيادات الإسلامية التي أخذت على عاتقها مسؤولية التغيير في هذا الزمان يرى تطابقاً عجيباً بين قوله صلى الله عليه وسلم "يصلحه الله في يوم وليلة" وبين واقع هذه القيادات الإسلامية ، فأكثر قادة الجهاد لم يتربوا تربية علمية إسلامية منذ نعومة أظفارهم ، ولم يكن أحد يتوقع أن يصبح هؤلاء الشباب في يوم من الأيام قادة أو رجال يغيرون مجرى التاريخ ..

إن الإسلام ليس تخصصاً علمياً في جامعة ، أو منهجاً نظرياً في مدرسة ، أو فلسفة جدلية ، بل هو واقع عملي تحكمه قوانين سماوية ، ولذلك كانت نظرية تغيير المناهج الدراسية في البلاد الإسلامية نظرية غير واقعية وغير مجدية في حرب الكفر والنفاق ضد الإسلام ، ولو أن الداعين إلى هذه الفكرة نظروا في الواقع لاكتشفوا أن أكثر من يحاربهم هم من خريجي التخصصات التقنية أو خريجي المدارس الثانوية الحكومية ، وليسوا من ذوي التخصصات الشرعية :

فالشيخ "أبي عبد الله أسامة" درس في كلية التجارة .. والشيخ "أيمن الظواهري" تخرج من كلية الطب .. وسيف الإسلام "خطاب" خريج ثانوية حكومية وكذا أخوه وخليفته "أبو الوليد الغامدي" .. وداعية الجهاد ومجدد فقهه في عصرنا "الشيخ عبد الله عزام" رحمه الله بدأ حياته التخصصية في كلية الزراعة وعمل مدرساً في هذا التخصص قبل أن يدرس الشريعة .. وحتى الذي فجر الجهاد الأفغاني الأول (قلب الدين حكمتيار) وأركز أول مسمار في نعش الإتحاد السوفييتي كان طالباً في السنة الثانية هندسة .. !! إذا : تجارة .. طب .. زراعة .. هندسة .. ثانوية !!

إن المسألة لا تحتاج إلى تعقيدات فكرية ، أو تفريعات فلسفية ، أو تحقيقات تعجيزية ، إنها : كلمات قليلة .. مواقف صغيرة .. رسائل قصيرة .. نصائح خاطفة .. لحظات تأمل ونظر .. واحدة من هذه الأمور تكفي لقلب حياة الإنسان .. الصحابة كانوا رعاة غنم صيرتهم النصوص والأحداث قادة أمم .. "طه" طهّرت قلب من سام المسلمين العذاب في مكة فصيرته واحداً من أعظم رجالات التاريخ .. كلمات قصيرة في رسالة صغيرة أتت بقائد أعنة قريش ليصبح سيف الله يدمر إمبراطوريتي فارس والروم ويُخضع قبلهما جزيرة العرب .. ممثل يصبح داعية ، مغني يصبح مصلحاً ، ملحد يصبح مجاهداً .. إنها القلوب يقلبها خالقها كيف شاء ..

لا ينبغي للإنسان المسلم أن يقنط من رحمة الله ، ولا أن ييأس من الواقع حوله ، ولا أن يعلق آماله على أشخاص بعينهم ينتظر تحركهم أو قيامهم ، فلا يدري الإنسان أين يكون تدبير الله سبحانه وتعالى ، وأين تكون مشيئته !! ولعل الله سبحانه وتعالى يقلب حالك أو أحد أصحابك فيصبح في

يوم من الأيام قائداً من قادة الأمة ، فالذي قلَبَ قلْب "سامي المطيري" من عَلماني (كافر) إلى مجاهد صامد ، قادر على أن يقلب قلب أخوك أو صاحبك في لحظات ليصبح رمزاً من رموز هذه الأمة ، ينصر اللهُ به الدين ..

يس الأمر شرف نسب ، أو عظم حسب ، ولا جاه أو منصب " وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ " (الزخرف : 31) ، إنه اختيار إلهي " اللهُّ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ " (الأنعام : 124) .. لقد خُتم الأنبياء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن ورثته باقون ، وهذا الدين محفوظ بحفظ الله له ، وجناب الأمة مصون برجال من أمثال المهدي "مهتدون" دون "مهديّة" ، لا يسقطون من السماء ولكن تصنعهم الأحداث بقدر من الله ..

إن الإصلاح الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ليس حكراً على "المهدي" المنتظر ، وإنما هو واقع ملموس نحياه اليوم ، فهذه الأمة المعطاء قد تكفل الله بحفظها ، ولا يمكن أن تخلو هذه الأمة من رجال يروون رايتها بدمائهم ويركزونها بأشلائهم ، وهذا الذي لم يفهمه أعداء الأمة على مر القرون ، وهذا الذي لم تستطع الحكومة الأمريكية ومن ورائها من المنافقين أن يُدركوه وهم يحاربون الإسلام ..

ليس شرطاً أن تكون قيادة الأمة في طلبة العلم الشرعي أو حتى العلماء ، وليس بالضرورة أن تخرج الرايات من مدارس القرآن أو المعاهد الدينية ، إنما هي مسؤولية يُهيّئ الله – سبحانه وتعالى – لها من يشاء من عباده ، وفي لحظات يقلب حياتهم من هامشية سطحية إلى حياة ذات غاية وهدف .. إن في عوام المسلمين اللؤلؤ المكنون والذهب الإبريز الذي يحتاج من يستخلصه وينقيه من الشوائب "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ..." (مسلم) .. فكم نحن بحاجة إلى أصحاب المناجم ..

ينبغي لشباب الصحوة الإسلامية عدم إهمال عوام المسلمين ، بل يجب التركيز عليهم والصبر والجهاد في سبيل دعوتهم ، فها هو "خطّاب" رحمه الله ، ذلك الشاب الذي كانت أمنيته في الحياة وظيفة مرموقة وبيت جميل ، انقلب بفضل من الله ، ثم بسبب كلمات سمعها من داعية الجهاد "عبد الله عزام" رحمه الله ، ليُصبح من أعظم القادة العسكريين في القرن العشرين ، وما يُدريك ، لعل خطّاباً آخر يجلس في مدرجات ملاعب كرة القدم ، أو على كرسي مقهي ، أو يتسكع في الشوارع " يُصلحه الله في يوم وليلة " ..

لا ينبغي الإنتقائية في الدعوة " إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " (القصص : 56) ، ولا إنتظار المهدي "فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة" ، ولعل من يهتدي على يديك يكون (بعد هدايته) خير من الكثير من المستقيمين اليوم ، فقد كانت فاطمة بنت الخطاب وسعيد بن زيد وخباب بن الأرت سبباً في إسلام عمر ، وعمر خير منهم .. فأجر من استقام على يديك لك ، وللأمة بلائه " فوالله لأن يهدي اللهَّ بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم" (متفق عليه) ، ولعله أن يكون أحد المهديّين ..

.. والله أعلم .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

كتبه

حسين بن محمود
23 ذي القعدة 1423 هـ